المحظورات اللُّغَويَّة فِي التُراث العربيّ

(الجَاحظ أنموذجًا)

م.م. فالح عباس كباشي

قسم لغة عربية– لسانيات

كلية التربية ابن رشد

جامعة بغداد

أ.م.د. زهير محمد علي الأرناؤوطي

قسم لغة عربية– صرف

كلية التربية – ابن رشد

جامعة بغداد

الملخص:

تستنطق هذه الدراسة، ظاهرة المحظورات اللُّغَويَّة في العربيَّة في هدي اللسانيات الاجتماعيَّة، معتمدة على مادة لغوية تراثيَّة، مستعينة بالمنهج الوصفيّ التحليليّ، لإبراز الجانب الاجتماعيّ، وأثره في اللغة. وتتمحور هذه الدراسة على تجنب بعض الألفاظ في سياقات معينة، واستبدالها بألفاظ أخرى، واستعراض المصطلحات المعبرة عن هذه الظاهرة، مُبيَنة أوجه تلاقيها، وتباينها من حيث المفهوم مع مصطلح المحظور. والواضح أن الكناية أشيع تلك المصطلحات. واللافت للانتباه أن العلماء العرب الذين أدركوا مفهوم المحظورات اللغويّ، والمحسن اللفظيّ لم يدرسوا هذه الظاهرة دراسة تتبلور عنها نظرية لغوية ذات أسس وإجراءات علمية. تناول علماء العربيَّة، هذه الظاهرة في مؤلفاتهم؛ فمنهم من اكتفى بالإشارة إليها، كالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، والمبرّد (ت٢٨٥هـ)، وابن فارس(ت٣٩٥هـ)، ومنهم من أفرد لها تأليف مُستقل، نحو الثعالبيّ (ت ٤٢٩هـ) .أمَّا الدراسات التي سبقت هذه الدراسة؛ فهي (المحظورات اللغويَّة)، للدكتور كريم زكي حسام الدين، جاءت في بابين، الأوَّل بحث مفهوم المحظورات اللغويَّة وأسبابها في اللغة، أمَّا الثاني؛ فقد تناول المجالات الدلاليَّة للمحظورات اللغويَّة في كتابي الكناية والتعريض للثعالبي(ت٤٣٠هـ)، والمنتخب من كنايات الأُدَبَاء وإشارات البلغاء لأبي العباس أحمد الجرجاني(ت٤٨٢هـ). ذكر الباحث أربعة محاور دلالية للمحظورات اللُّغَويَّة والمحسنات اللفظيَّة، في هذين الكتابين. وقد طُبع هذا الكتاب عام ١٩٨٥م .أمَّا الدراسة الأخرى؛ فهي (التعبير عن المحظور اللغويّ،والمحسن اللفظيّ في القرآن الكريم دراسة دلالية)، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في عام ٢٠٠١م. تناولت الألفاظ الدالة على المحظور اللغويّ، والمحسن اللفظيّ في القرآن الكريم، برواية حفص، وقد استعانت هذه الدراسة في تعريف دلالة الألفاظ، بكتب تفسير القرآن.

الكلمات المفتاحية: المحسن اللفظي، حسن التعبير، التلطف، تحسين اللفظ .

Abstract:

This study investigates the phenomenon of prohibitions in the Arabic language, based on a traditional linguistic material, using the analytical descriptive method, to highlight the social aspect and its impact on the language. To write this study and exposure to the terms of their own, and a review of the terms that express this phenomenon، and a clear face of convergence and the difference in terms of the term prohibited. It is clear that it is interesting to note that Arab scholars who have grasped the concept of linguistic prohibitions.

middle-east2017@hotmail.com
مركز بحوث الشرق الأوسط
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

المفهوم والمصطلح:

دخلت كلمة التابو (Taboo) إلى اللغات الأوربية من آثار رحلة الكابتن (كوك) إلى بولينيز عام ١٧٧٧م، وتعني عند سكان جزيرة (تونكا) المحظورات ذات العلامة بالقوى الخفية فوق الطبيعةِ. واستعملها علماء الأنثروبولوجيا بمعنى المنع، المستند إلى جزاء سحري، أو ديني يؤدي خَرقه إلى إنزال العقوبة بمن يخرقه، وقد اهتم علماء الاجتماع بهذه الظاهرة ، ونظروا إليها على أنَّها نسق له مضمون دينيّ، أو اجتماعيّ. مرتبط باحترام كل ما هو مقدس في مقابل السحر التحريميّ المرتبط بكل ما هو مُدَنّس، ويلعب دورًا أساسيًّا فيما يتعلق بالطبيعة الأخلاقيَّة والدينية للفرد[١].

أمَّا المصطلحات، أو الملفوظات العربيَّة، التي تقابل ترجمة المصطلح الأجنبي (Taboo)؛ فهي مصطلح (اللامساس)، عند الدكتور (علي عبد الواحد)، حين تعرضه لأسباب التحريم في الزواج بين الأقارب، وبيان حرمة لمس الأشياء للمرأة ذات الحيض، عند القبائل أو الجماعات البدائية[٢].ويصطلح الدكتور(محمود السعران) الكلام غير اللائق، أو الحرام للدلالة على المحظور اللغويّ كترجمة لمصطلح (Taboo) [٣]. ويقابل نايف خرما المحظور اللغويّ أو الكلام المحظور اجتماعيًّا بالمصطلح الإنجليزي (Taboo)، ويقول إنَّ هذه الظاهرة تكاد تكون في كل المجتمعات خلا المجتمعات المفتوحة [٤].أمَّا محمد الهادي الطرابلسي؛ فيرى أن مصطلح التلطف (Euphemisme)، الذي يقابل المحسن اللفظيّ، ويعده نوعًا من أنواع الكناية المتمثل في استعمال اللفظ، أو العبارة لغاية التخفيف من وطأة المعنى الموحش[٥]. ومن بين الدارسين الذين غزر الإنْتَاج بدراسة المحظورات اللغويَّة، والمحسن اللفظيّ كريم زكي حسام الدين، الَّذي ذكرَ مصطلحَ المحظورِ اللغويّ، ومصطلح المستهجن للدلالة على

المفهوم ذاته، في كتابٍ أفرده لدراسة المحظور اللغويّ والمحسن اللفظيّ، وهوَ الكتاب العربيّ الوحيد، لهذا الموضوع بالتناول اللغويّ الحديث[٦].

ومن جهة أخرى، يمكن أن نحدد الإشارات الأولى، لما يقابل المحظور اللغويّ في التراث اللغويّ العربيّ تحت باب الكناية، واستعمال بعض المصطلحات المتصلة بها نحو تلطيف المعنى، وتحسين اللفظ، والكنايات اللطيفة، والتعريض . ومنه ما جاء عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ليشير إلى المحظور اللغويّ بمصطلح الكناية، ومدلولها الذي يركز على الجانب الوجداني في علاقة اللفظ بالأحاسيس والمشاعر النفسية؛ وذلك لتحقيق استجابة جمالية إيجابية عند المتلقي، فالكناية تستر المعنى القبيح الذي تنفر منه النفوس[٧]. وتؤدي دورًا مهمًا في التعبير عن الدلالات، التي ترفضها الطباع، وترتفع عنها الأسماع، فوجد في السلوك اللغوي المتمثل في الكناية السبيل المقبول للتلفظ بها. وطريقة التعبير الجديدة المتحوّلة عن الأصل اللغويّ، إلى أسلوب بيانيّ آخر تشير إلى أصول عدةّ . منها الأصل النفسيّ ويبرز خلال العدول عن النطق باللفظ المشين إلى غيره حياء وخجلا، ويطلق على الأصل النفسيّ اللغويّ اسم التابو (Taboo)، أو المحرم اللغويّ ويعني من جهة مقدس، أو مبارك . ومن أخرى الممنوع أو المحذور، أو ما يحرم لمسه[٨].وفي السياق نفسه قول المبرد (ت٢٨٥هـ): ((ويكون من الكناية وذاك أحسنُها الرغبةُ، عن اللفظ الخسيس المُفْحِشِ إلى ما يدل على معناه من غيره)) [٩].وينتقل المعنى نفسه إلى ابن فارس (ت ٣٩١هـ)، تحت باب الكناية لها بابان أحدهما: أن يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسينًا للفظ أو إكرامًا للمذكور، والثاني: الكنايةُ للتبجيل نحو: (أبو فلان) صيانة لاسمه عن الابتذال، والكنى مما كان للعرب خصوصًا، ثم تشبّه به غيرهم في ذلك [١٠].

وقد عقد الثعالبيّ (ت٤٢٩هـ)، فصلًا للكناية عما يُسْتَقْبحُ ذِكْره بما يُستَحْسَنُ لفظه وساق فيه مجموعة من الكنايات التي تقابل ترجمة المصطلح الأجنبيّ التلطف

(Euphemism)، ومعناه حسن التعبير، وتحسين اللفظ [١١]. وممن أفرد لهذه الظاهرة بالتأليف القاضي الجرجاني (ت٤٨٢هـ)، وما ذكره من فوائد التحرز عن الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة، وإبدال ما فحش ذكره في الأسماع [١٢].أمَّا مجالات المحظورات اللغوية عند الجاحظ، فهي :

١ . مجال العمليات الفسيولوجية: وينقسم هذا المجال على فرعين هما:

الأمور الجنسية، وقضاء الحاجة.

أ . مجال الأمور الجنسية وهي على مجالات :

العلاقة الجنسية : ونكثر كلمات التلطف والالتماس في التعبير عن العلاقة الجنسية، حتى تكاد تحظى تلك العلاقة بنصيب وافر في مفردات اللغة[١٣].

قال الجاحظ: ((وقالوا في قوله تعالى: ((وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا)) قالوا الجلود كناية عن الفروج . كأنه كان لا يَرى أنّ كلام الجِلد من أعجب العجب !)) [١٤].

ومنه ما نقله الجاحظ :

مُعانِقًا للرَّشأ الرَّبيـــبِ أَقْحَمَ المِحفارَ في القَلِيبِ

أمْ كانَ رِخْوًا يابسَ القَضيبِ [١٥].

فكنى عن الفعل بين الرجل وأهله بقوله : أَقْحَمَ المخفار في القليب [١٦].

- **الأعضاء الجنسية :**

ينقل الجاحظ عن : ((الحجَّاج لأمّ عبد الرحمن بن الأشعَث : عَمَدْت إلى مَالِ الله فوَضَعْته تَحْتَ. كأنَّه كره أن يقول على عادة الناس : تحت استك، فتلجلج خوفًا من أن يقول قَذَعًا أو رَفَثًا، ثمّ قال : تحتَ ذيلِك)) [١٧].

- الختان : وهو ما يكنى به عن جلدة الذكر التي تقطع عند الختان، وتسمى (القُلْفة) ومنه قول دعبل الخزاعي [١٨]:

إلى عُلَيجَين لم تُقطَع ثمارُها قد طال ما سجدَا للشمس والنار

و(لم تقطع ثمارُها)، كناية عن أنهما لم يختنا، كما هو عادة العلوج [١٩].قال الثعالبي: ومما يكنى به عن القُلْفة[٢٠].وفي نفس المعنى السابق، نقل الجاحظ قول الشاعر:

والمرء لم يغضَبْ لمطْلَبِ أنْفِهِ أو عِرسِه لكَريهةٍ لم يَغْضَبِ

ومطْلَب أنفه : فرجُ أمّه ؛ لأنَّ الوالد إذا تمتْ أيّامُهُ في الرحم قلا مكانَه وضاق به موضعهُ فطلبَ بأنفه موضع المخرج [٢١]. والعرب تكني عن الفرج بمطلب الأنف، والقول فلا يحمي مطلب أنفه أي فرج أمه[٢٢].

ب –مجال قضاء الحاجة :

يركز الجاحظ في مدلول الكناية على الجانب الوجدانيّ في علاقة اللفظ بالمشاعر والأحاسيس النفسية؛ وذلك لتحقيق استجابة جمالية إيجابية عند المتلقي؛ لأن الكناية تكون حسنة أن جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة، معنى هذا أن لطف الإشارة، ولين اللفظ له مغزى جماليّ وهو إحساس المتلقي بجمالية الصورة الحسنة في اللفظ القريب، ليعدل عن الصورة السيئة في اللفظ البعيد، هذا على ما في الكناية من صياغة المبدع لأدبه من الدناءة نحو[٢٣]:((وقالوا في قوله تعالى: ((كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ)): إنّ هذا إنَّما كان كنايةً عن الغائط [٢٤]. والمعنى السابق كأنه لا يرى أنّ في الجوع وما ينال من الذَّلَّة والعجزِ والفاقة، وأنه ليس في الحاجة إلى الغذاء . ما يُكتَفَى

بِه في الدَّلالة على أنّهما مخلوقان، حتّى يدَّعي على الكلام ويدّعي له شيئًا قد أغناه الله تعالى عنه)) [٢٥].

٢ . **مجال المهن أو الصناعات الدنيئة:** نقلَ الجاحظُ عَنْ النّظامِ أنه كانَ يُكني عَنْ الحائك بأخضر البطن[٢٦]. ((وإذا قالوا : فلان أخضَر القفا، فإنما يعنون به أنّه قد ولدتْهُ سواد وإذا قالوا: أخضر البطْن، فإنما يريدون أنّه حائك، لأنّ الحائكَ بطنَه لطول التزاقه بالخشبة التي يطوي عليها الثّوب يسودّ)) [٢٧].

٣. مجال الداء:

وينقل الجاحظ في كناية الداء الشديد:((ويقال للرجل إذا كان فيه ابنةٌ:((فلان يخْبا العصا)) [٢٨].

ومنه أيضًا ما نقله في داء البرص، عن ابن حبناء في الكناية عنه بالبياض :

((لا تَحْسَبَنّ بَياضًا فيَّ مَنْقَصَةً إنَّ اللَّهاميمَ في أقْرابِها بَلَقُ)) [٢٩].

٤ . مجال الصفات وهي على محورين:

الأول : البشرية المعنوية السلبية:

الجَهْل : ((قال شُرَيح : ((الحدَّة كنايةٌ عن الجَهْل))

البَذَاء : ((وقال أبو عُبيدة ((العارضة كنايةٌ عن البَذَاء))

البخل : ((قال: وإذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستَقْصٍ فتلك كنايةٌ عن الجَوْر)) [٣٠]. ومنه أيضًا ((ويقال في المثل للذي يعطي عطيّة لا يعودُ في مثلها : كانَتْ بَيْضَة الدّيك، فإن كان معروف له قيل : بَيْضة العُقر)) [٣١].

ويقال كان ذلك بيضة الديك للشيء يكون مرة واحدة، ولا يتبعها وللبخيل يعطي مرة ثم لا يعود فيها، وإذا كان يعطي شيئًا ثم قطعه، قيل للمرة الأخيرة [٣٢].

الثاني– الصفات العامَّة:

قال الجاحظ:((وللطَّيَرة سمَّت العربُ المنهوش بالسَّليم، والبرّية بالمفازة، وكنَوا الأعمى أبا بصير، والأسود أبا البيضاء، وسمّوا الغراب بحاتم؛ إذ كان يحتم الزَّجر به على الأمور. فصار تطيُّرهم من القَعيدِ والنَّطيح ومن جَرْد الجراد، ومن أن الجرادة ذات ألوان، وجميعِ ذلك . دونَ التطيَّر بالغراب)) [٣٣]. فقد أطلقوا على الأعمى اسم البصير، وعلى اللديغ اسم السليم تفاؤلًا بالسلامة، وتجنبًا للدَّونيَّةَ في المسمى، والابتعاد عن ذكر القبيح والعاهات والمعايب [٣٤].

الخاتمة:

اللغة ظاهرة اجتماعيَّة تتأثر مبانيها، ومعانيها بالمجتمع اللغويّ، الذي تتشكل فيه ومن هذه الظواهر (المحظور اللغويّ)، الذي يقوم على استبدال الألفاظ المستقبحة إلى زكية محببة وهذا يستدعي اعتماد آليات لغويَّة، وبلاغيَّة تراعي ذلك، وتعد الكناية من أكثر المصطلحات التَّراثيَّة، التي تقابل مصطلح (المحظور اللغويّ). وقد تنوعت المصطلحات الدالة على هذا المفهوم، ولعل أشهرها المحظور والمستهجن، واللامساس والمحرم، والابتذال. ويمكن القول إنَّ الخلاف في هذا المصطلح، عائد إلى رغبة بعض الدارسين إلى استعمال مصطلحات مستمدة من التراث، أو الاختلاف الناتج عن ترجمة مصطلح (Taboo)، المقابل اللاتيني المعبر عن المحظور. ونميل إلى استخدام مصطلح (المحظور) في بحثنا؛ لكونه يجمع دلالات المصطلح المستخدمة، ومن أكثرها شيوعًا واستعمالًا بَيْنَ الدارسين.

وقد أدرك الجاحظ مفهوم المحظور اللغويّ وعبر عنه بالكناية، إلا أن هذا المفهوم لم يتبلور عنة نظرية بالمحظور اللغويّ. إنَّ ما جاء عند الجاحظ في باب المحظور اللغويّ، تحت العوامل النَّفسيَّة،والاجتماعيَّة، واللغويَّة. أمَّا مجالات المحظور اللغويّ عند الجاحظ؛ فقد جاءت في الأمور الجنسية والصفات المعنويَّة السلبيَّة البشريَّة، والمِهن، والداء.

الهوامش :

(١) ينظر: علم اللغة الاجتماعي :٣١٤.

(٢) ينظر: الطوطمية أشهر الديانات البدائية : ٦٢.٦١.

(٣) ينظر: اللغة والمجتمع رأي ومنهج : ١٢٩.١٣٠، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٣٠٥.

(٤) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٤٤.

(٥) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات : ٢٢٧ .

(٦) ينظر: المحظورات اللغوية دراسة للمستهجن والمحسن من الألفاظ : ٧.

(٧) ينظر: الأسس الجمالية في النقد الأدبي عند الجاحظ : ١٧٥.١٧٤. وعلوم البلاغة البيان والمعاني والبديع : ٢٨٥.

(٨) ينظر: علل اللسان وأمراض اللغة : ١٧٠.

(٩) ينظر: الكامل في اللغة والأدب : ٩/٢.

(١٠) ينظر: الصاحبي : ٣٠١.٢٠٠ .

(١١) ينظر: فقه اللغة وسرالعربية: ٦٧١/٢، وظاهرة المحظور اللغوي في صحيح البخاري:١٦.١٥.

(١٢) ينظر: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: ١٤.١٣.

(١٣) ينظر: علم الدلالة : ٢٦٦.

(١٤) الحيوان :٣٤٤/١.

(١٥) الحيوان :٤٧١/٦.

(١٦) ينظر: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء : ٨٤.

(١٧) الحيوان : ٣٣٩/١.

(١٨) ينظر: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء : ٥٣.

(١٩) ينظر: البيان والتبيين : ٢٢٨/٣.

(٢٠) ينظر: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء : ٥٣

(٢١) ينظر: الحيوان : ٤٠٣/٤.

(٢٢) كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: ١١٧.

(٢٣) ينظر: الأسس الجمالية في النقد الأدبي عند الجاحظ : ١٧٤ .

(٢٤) الحيوان :٣٤٤/١.

middle-east2017@hotmail.com
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

(٢٥) الحيوان :٣٤٤/١.

(٢٦) ينظر: الكناية والتعريض : ١٢٣ .

(٢٧) الحيوان :٢٤٨/٣

(٢٨) البيان والتبيين :٥٦/٣ .

(٢٩) الحيوان :١٦٥/٥.

(٣٠) البيان والتبيين :٢٦٣/١.

(٣١) الحيوان : ٣٤٣/٢.

(٣٢) ينظر: كنايات الأدباء وإشارة البلغاء : ٣٥٧.

(٣٣) الحيوان :٤٣٩/٣.

(٣٤) ينظر: علل اللسان وأمراض اللغة : ١٧٠.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الأسس الجمالية في النقد الأدبي عند الجاحظ : رضية بنت عبد العزيز بن شعيب، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى ، ٢٠٠٢ م .
٢. البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ، مصر، الطبعة السابعة ، ١٩٩٨م .
٣. الحيَوَان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، شرح وتحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥ م.
٤. خصائص الأسلوب في الشوقيات: محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨م .
٥. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .
٦. الطوطمية أشهر الديانات البدائية :علي عبد الواحد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
٧. ظاهرة المحظور اللغوي في صحيح البخاري ، ناصر علي عبد النبي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٠ م.
٨. علل اللسان وأمراض اللغة رؤية لغوية . إكلينيكية وانعكاساتها في المجتمع : محمد كشاش ، المكتبة العصرية ، بيروت ،الطبعة الاولى ، ١٩٩٨م.
٩. علم اللغة الاجتماعي : هدسون ، ترجمة محمود عياد ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٠م .
١٠. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع : أحمد مصطفى المراغي، دار القلم بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م.
١١. الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي ، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ م .
١٢. كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني (ت٤٨٢هـ)، تحقيق محمود شاكر القطان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣م .
١٣. الكناية والتعريض: لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق ودراسة : أسامة البحيري، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .
١٤. اللغة والمجتمع رأي ومنهج : محمود السعران، دار المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣ م المحظورات اللغوية دراسة للمستهجن والمحسن من الالفاظ : كريم زكي حسام الدين : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م